كتاب النهار 2022-10-24 | 00:00

"إعادة تخيّل بيروت" معرض وسام بيضون في "غاليري آرت أون 56": اللوحة باعتبارها مدينة

عقل العويط المصدر: "النهار"

من معرض وسام بيضون في "غاليري آرت أون 56".

يستدرج الفنّان وسام بيضون موضوع بيروت في معرضه لدى "غاليري آرت أون 56"، الجميزة، مقترحًا إعادة تخيّل المدينة، أو إعادة إعمارها، وإنتاجها، واختراعها، من منظورٍ تشكيليّ يعاند حالات التدمير والخراب والانحطاط واليأس والموت، مضفيًا مكوّناتٍ أسلوبيّة ولونيّة، ومناخاتٍ إنسانيّة وعاطفيّة، قد يجد الزوّار مبتغاهم الجماليّ فيها.

موضوع بيروت يُغوي، يُغري، يجذب، يشدّ، ولا سيّما في هذه الأيّام اللبنانيّة الحالكة. وهو يتناسب مع فكرة الاحتفال بمرور عشر سنين على افتتاح الغاليري، ومع لزوم التشبّث بالأمل، وإشاعة أجواء تفاؤليّة، على رغم كلّ المؤشّرات المضادّة التي تستولي على الحياة، وتضفي عليها وشاحًا كثيفًا من الهواجس الضاربة والمقلقة.

ثمّة ثلاثة مستويات في مسار وسام بيضون التشكيليّ يدلّنا عليها الفنّان، وتومئ إليها لوحاته. فمن جهة، هناك أعمال يغلب فيها موضوع واضح المعالم، حيث امرأة عارية وطاولة وفواكه، وحيث عناق بين رجل وامرأة. يعثر القارئ المتلقّي في هذا النوع من الأعمال على وضوح في اللغة الأكاديميّة أو التعليميّة المحضة، حيث يصبح سطح اللوحة منصّة يتوزّع اللون من خلالها وعليها ببراعة منطقيّة. لكنّ اللوحات لا تستقرّ في مدار لونيّ محدّد، ممّا يجعل بعض سطوحها عرضةً لتنوّعٍ لونيّ قد يشتّت الانتباه، حتّى ليسأل المتلقّي سؤالًا من مثل: ما ضرورة هذا الأخضر الفاقع، والفوشيا المزهو بذاته!؟

إلّا أنّ الفنان سرعان ما يتدارك هذه الأشكاليّة فينصرف إلى معالجاتٍ تشكيليّة يتخفّف فيها من الموضوع الواضح ومن التقريريّة الحادّة، ذاهبًا الى ترسيخ حالٍ من الأسلبة، من دون أنْ يُغرق اللوحة في تفاصيل شكليّة. ها هنا، تتمكّن لوحته من نفسها، وتمتلك نواصي انشغالاتها، متخفّفةً من أثقالٍ ترهق السطح، لتضفي عليه جوًّا من الغنائيّة المطلوبة. وفي هذا التوجّه، رسوخُ قدم، وبراعة قد تكون تستعرض نفسها بحيث لا تخلو من صنعةٍ (افتعال؟!) ومن منطق يتسيّد على كل شيء.

وعندما يتخلّى الفنّان عن "الموضوع"، منشغلًا بالرسم باعتباره غايةً، تتجلّى أعمالٌ ذات منحى أرابسكي، تتميّز بدوائرها المتلاصقة المتناغمة، وتآليفها اللونيّة المتماسكة. على خشبة هذا المسرح التشكيلي، يخطو وسام بيضون خطواته الاختباريّة والبحثيّة، متحرّرًا من الحصانات "الموضوعيّة" المسبقة والجاهزة، غير مكترث باللون "الجميل"، أو غير آبه بما تطمئنّ اليه اللوحة. ها هنا نعثر على تطلّعٍ نحو الجرأة، نحو الاقتحام، وهذا ما ينبغي للرسّام أنْ ينصرف اليه انصرافًا كليًّا، فيجعل تجربته تصبّ في هذا الاتجاه، بحثًا عن القلق اللوني والأسلوبي، عن الهجس (وليمَ لا عن التجرؤ والوقاحة والفظاظة)، خارجًا من قوقعة الأنا، إلى الشارع، إلى الآخر، حيث العالم على حقيقته، بتآليفه، بمكوّناته، بإيقاعاته، بمآسيه، وتناقضاته الأوركستراليّة. وعندما ينخرط الفنّان في هذا العالم، يصير منه، وفيه، ولا يعود يهتمّ فنّه كثيرًا بـ"المصالحة" مع الجمهور العريض ومع سوق الفنّ، فينأى بمقترحه التشكيلي الجمالي عن "التسوية"، ويقترب من انتزاع خصوصيّته المتميّزة. ولأنّ وسام بيضون متمكّن من التأليف ومن لغته اللونية ومن تقنيات التعبير، يمكنه أنْ لا يعود يغالي في تطلّب "الموضوع"، واستعراضه، وتطريزه بالألوان الأساسيّة (الرسميّة)، التي تطرب لها العين، ويحبّها الجميع.

معرض وسام بيضون يستحقّ الزيارة، ليس فقط لأنّه يعيد تخيّل بيروت، فيَنهضها من دمارها، ويفتحها دارًا للحبّ والأمل والحياة والحريّة، بل لأنّه أيضًا صاحب لغة تشكيليّة جديرة بأنْ تخاطب أسئلة مستقبلها الفنّي وإشكالياته وأدواته المناسبة.